

بحث تحت عنوان

منهج الرسول في التبليغ وأثره في توجيه الصحابة

للدكتور عبد السلام الهبطي الادريسي

مقدمـــــــة

قمت باجتهادي وبعد نظري بسبب ما قرأته وما سمعته من العلماء الأجانب الذين كانوا يدعون أنهم السباقون إلى العلم ، وأن منهجية مفاهيمهم وعلومهم انبثقت منهم ،وهذا غير صحيح وكل ما في الأمر أن ما نراه من الطرق التعليمية التي جاءتنا من وحي السماء ،وما أفادنا به الرسول الكريم نجد أنه قد انتشر في الدنيا بأمر الرسول ،وما نعيشه اليوم من رخص تعليمية وفترات استراحة هي من أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ،وما نجده الآن من تطبيقات العلوم والتعليم هو من إرشادات الرسول الكريم وما نجده أمامنا اليوم من وسائل تعليمية وتوضيحية هي من الرسول كذلك ،فهو أول من استعمل السبورة الأرضية على الإطلاق ،وما نقرؤه اليوم في منهجية التدرج من السهل إلى الصعب ،ومن الجزء إلى الكل كل هذا كان مفتاحه القائد الروحي عليه السلام ،ومع هذا نجد الغربيين يقولون إن التعليم عند المسلمين متأخر ولو علموا أن ما عاشوه من جهل وانحطاط في القرون الوسطى وكيف كانوا تلاميذ للفلاسفة والمسلمين في الحروب الصليبية والأندلس لماتت قلوبهم ،وفي هذا الشأن يقول الماجور ديوراند (يجب أن تكون حالة أوروبا إزاء الإسلام حالة شكر أبدي ولو علم الغربيون قيمة علوم العرب والمسلمين لتاهوا في التأخر والانحطاط).

بحث تحت عنوان

منهج الرسول في التبليغ وأثره

فـــــــي توجيه الصـــحابة

مدخل البحث

جاهد الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل تبليغ الرسالة ثلاثة وعشرين عاما وخلالها استطاع أن يبث روح الإيمان في القلوب ،ويجذب إليه العدد الذي لا حصر له من المسلمين ،وبقي النبي الكريم يقاوم أعداء الدين تارة باللين ،وتارة بوسائل أخرى إلى أن أخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجا ،فاتسعت رقعة الإسلام تارة باللين ،وتارة بوسائل أخرى إلى أن أخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجا ،فاتسعت رقعة الإسلام وانتشر التوحيد في كل مكان ،وقائد الرسالة يقاوم العادات السيئة ،والطرق الفاسدة ،وبصبر وإيمان حقق الرسول صلى الله عليه وسلم أهداف الرسالة ،فتأثر الناس بمحتواها والتفوا حول قائدهم عاملين بسلوكه وأخلاقه ،خاضعين لتوجيهاته وآدابه ،وإلى جانب هذه الفضائل التي كان يتحلى بها كان ذا علم عظيم جاءه من خالقه ليطبقه على من آمن به وبرسالته ،وبهذه المعارف الربانية أصبح الموجه العبقري والقائد العظيم والمفتي الكريم والقاضي الحكيم والفقيه الموجه لأمته ،إنه القائد العبقري الذي جاهد وناضل بصبر متواصل ،إنه الرائد الذي مدحه الخالق بقوله (وإنك لعلى خلق عظيم) سورة القلم الآية 2 وقد أفاض الله عليه هذا المدح لاتصافه بالشيم العالية والمعاملة الصافية الزكية ولما سمعت قريش القرآن الكريم من الرسول صلى الله عليه وسلم يتلى لم تستطع صبرا هنا توجهت إليه بسهام البغض والحسد والحقد وأمرته بالهجرة إلى المدينة التي بين أحضانها بنى دولة شامخة البناء عالية الإيمان هذه المدينة التي منها انطلق الإسلام وزعزع المشركين والتي استطاع النبي صلى الله عليه وسلم بوجوده فيها أن يقضي على ما تبقى منها من عوائد ضالة وتقاليد منحرفة جافة ،وقد تغلب عليها الرسول الكريم بإعطائه دروس الوحي السماوي مبينا أحكام و مضامين القرآن الكريم ومدي تأثيرها في المجتمع المسلم ،هذا ومع مجهوداته الصافية النابعة من شخصيته الصادقة قصد تحقيق ما كلف به من لدن ربه ،كان الله ينزل عليه بين الحين والآخر ما يهون به على نفسه من كلام السفهاء و يتجلى ذلك في الوحي الصادق حتى لا يفاجأ بضيق من تأثير الضالين المشركين على سلوكه وأخلاقه وكما هو معلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان ذا أخلاق عظيمة وتربية عالية لا نظير لها، ومن هذه الفضائل السامية انطلق

يحارب الانحراف والزيغ والضلال فاستطاع أن يشارك المشركين أفراحهم ويتذاكر معهم ويجالسهم، ثم نجد أنه صلى الله عليه وسلم كان ينفرد بالخصوص مع الضعفاء ويأكل معهم ويقول لزوجته يا عائشة (قربي الفقراء، فإن الله يقربك يوم القيامة) ولم تكن اللقاءات والمفاجآت تنحصر في إصلاح النفوس والقلوب فقط، بل كان يضاف إليها القرآن العظيم، وما يعطيه هذا الدستور السمـاوي من فضائل وإرشادات وأحكـام وحكم وبهذا التأثير العزيز تكون الصحابة الكرام من مدرسة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وتهذبوا وتخلقوا وبذلك أصبحوا رجالا يعتز بهم الخلق، ولم ينحصر تعليم النبي الكريم في المساجد فحسب، ولكنه تعدى ذلك إلى خارجها حتى وصل إلى كل مكان،بل جعل الرسول الكريم الأرض كلها مدارس للقراءة ومساجد للعبادة والدراسة والوعظ والإرشاد للتغلب على الصعاب بالتفاهم والتشاور ومناقشة مشاكل الحياة ،ومن هذا المنطلق أحس النبي الكريم بالنصر على قضايا الحياة المعقدة ، وبتحقيق ما بعثه الخالق من أجله ،وبهذا أصبح الإسلام يفرض وجوده في كل الأرجاء،وما هذا الانتصار الفكري والخلقي إلا بفضل المسار المشرق للعباد وأهل الأرض ،هذا المسار الذي سلكه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم واقتبسه من نور القرآن الكريم ،إن نجاح محمد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ما كان إلا بفضل صبره وإيمانه الصادق الذي انبثق منه نور الهداية ومعه أصحابه الكرام الذين بذلوا النفس والنفيس من أجل الدفاع عن رسالة التوحيد وعن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم هؤلاء العظام نجدهم قد تخرجوا من المدرسة المحمدية التي ساهمت بقوة عظيمة في تكوينهم الروحي والاجتماعي والأدبي والخلقي ،وبذلك أصبحوا قادرين على مجابهة الحياة الشائكة التي وضع المشركون في طريقها الأحقاد والسموم قصد القضاء على رسالة السماء وقد تربى هؤلاء الصحابة الكرام في مدرسة المربي الكبير محمد صلى الله عليه وسلم الذي استطاع أن يترك أثرا أخلاقيا عميقا في عقول الذين بأعمالهم هذه استطاعوا أن يأتوا بأفكار في مؤلفاتهم وقد تركت أثرا تاريخيا علميا هائلا في بطون المؤلفات، وببحث الصحابة والمفكرين تعمقوا في إعجاز القرآن الكريم وبلاغته وفصاحته، كما تعمقوا في السنة المطهرة حتى أصبحوا قادرين على الدفاع عن رسالة التوحيد.

لماذا فضلت هذا الموضوع

لقد انطلقت منه بسبب إعجابي به كثيرا ،حيث وجدته يتضمن كافة الطرق التربوية التي يستعين بها المربون اليوم في تبليغ ما عندهم لعشاق العلم والمعرفة وبالتالي فإن هذه المراحل التعليمية ما هي إلا امتداد للوسائل الحية التي استخدمها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في تعليم الصحابة ،وقد اشتمل منهجه صلى الله عليه وسلم على وسيلة التدرج في التبليغ قصد التشطيب ما هو فاسد وتثبيت ما هو صالح والتدرج كما هو معلوم نوعان كيفي وهو الانتقال بالتعلم من البسيط إلى المركب ،وكمي وهو إعطاء المتعلم المقدار الملائم له بدون زيادة أو نقصان ،وفي هذا الصدد أوصى الإمام الزهري تلميذ يونس بن يزيد قائلا يا يونس (لا تأخذ العلم جملة ،فإن من أخذه جملة ذهب عنه جملة) وقد سجلت في بحثي المتواضع هذه الطرق لأن الرسول صلى الله عليه وسلم عالج بها دروسه مع أصحابه ،وكان نجاحه صلى الله عليه وسلم بهذا المنهج موفقا ،وقد تضمن منهجه هذا ،الذي عالج به النبي الكريم نفس الطرق التربوية المستعملة اليوم لدى المربين ،ومنها مراعاة الفروق الفردية واستعمال الوسائل البصرية والسمعية وإثارة الانتباه بالوسائل والحوار ،ففيما يتعلق بالوسائل البصرية والسمعية ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه فقال (خط لنا الرسول بيده ثم قال (هذا سبيل الله مستقيما ،فهنا نرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد استعمل الأرض بدل اللوح قصد التبليغ بكيفية جيدة وتوضيح المقصود ،ويظهر بعد هذا الإجمال أن ما يستمله المربون اليوم في مدارسهم مع تلاميذهم للوصول إلى الفهم الصحيح ما هو إلا ثمار تركه لنا النبي الكريم .

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

القرآن والسنة وعنايتهما بالعلم وأهله

منزلة العلم عند الله كبيرة ومن هنا جاء القرآن يدعو إلى طلب العلم والاهتمام به، يقول الحق سبحانه (اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق) ويقول(هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) سورة الروم الآية 9 والسنة النبوية تسير في اتجاه القرآن لطلب العلم والاعتراف بأهله يقول النبي صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة ويقول صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم) أخرجه ابن ماجه عن أنس رضي الله عنه وبالرجوع إلى الكلمة الشريفة (اقرأ) نجدها لا تحث على طلب العلم فقط ولكن بالإضافة إلى طلب هذا العلم نجدها تدعو إلى العناية بالتربية الحسنة والخلق الكريم، فالله سبحانه لم يقل (اقرأ باسم الله) لأن الله اسم ذات ولكن قال (اقرأ باسم ربك) أي اقرأ في نطاق الأخلاق، اقرأ في نطاق التربية الإسلامية وكما أمر القرآن الكريم والسنة إلى الاهتمام بالعلم فإنهما دعوا إلى تطبيقه ،ومن أجل هذا قام الرسول الكريم و وصى القضاة والعلماء والصحابة ة إلى تطبيق ما أصبح في عقولهم من زاد علمي ومن ثروة علمية مباركة ،وفي نفس الوقت أمر باحترام أولي العلم والمعرفة وفي هذا الشأن قال صلى الله عليه وسلم (ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ،ويرحم صغيرنا) أنظر أصول الحديث ج 1 ص127 كما أنه عليه السلام أمر بالعناية بطلاب العلم والرفق بهم من ذلك ما رواه أبو هارون العبدي قال أتينا أبا سعيد الخدري فقال مرحبا بوصية قلنا وما وصية رسول الله فقال (إنه سيأتي بعدي قوم يسألونكم الحديث عني فإذا جاؤوكم فألطفوا بهم وحدثوهم) أصول الحديث للدكتور عجاج الخطيب ص 55 ومن خلال ما تقدم ندرك أن الرسول الكريم أن تسيير الأمة يتوقف على العلم في إطار التربية الخلقية لم يتوان في تكوين الصحابة تكوينا مبنيا على أسس ثابتة مستمدة من القرآن والسنة وبعد استفادتهم من النبي الكريم العلم لقيادة الأمة جندوا أنفسهم لخدمة القرآن والدفاع عن رسالة الحق.

مدرسة الرسول في خدمة القرآن والسنة

اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم منهجا يعتمد عليه في تبليغ أحكام الدين الجديد للصحابة رضوان الله عليهم ،وكما سنعلم من خلال الصفحات التالية أنه قد أتى بطرق لم يصل إليها العلم الحديث إلا مؤخرا ،وقد كان عليه السلام مع منهجه معلما وحاكما وقاضيا ومفتيا ،وبما أن ميدان التعليم يحتاج إلى اجتهاد فلا بد أن أشير إذن إلى مفهوم الخطأ في الاجتهاد بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم يقول الشيخ متولي عبد الباسط ،يطلق الخطأ ويراد به مجانبة الصواب ،وهذا المعنى لا يجوز إطلاقه على الرسول صلى الله عليه وسلم ،ويراد ترك الأكمل وهذا المعنى هو المراد من قول العلماء يجوز الخطأ ووقوعه منه عليه السلام ،فإذا اجتهد ولم يصب الأكمل في الاحتمالات يتركه ربه بل ينبهه فورا ،وإذا اجتهد في مسألة ولم ينبهه الله كان هذا تقريرا من الله تعالى فيكون تشريعا منه سبحانه مجلة العربي العدد 262 ص 47 إذن فالرسول صلى الله كان معلما وقاضيا ويجتهد كغيره من أفراد البشر في مسائل جاءت بها الظروف والأحوال غير أن اجتهاده هذا كان تحت حراسة ربه ،فإذا اجتهد وسكت عنه الأمر الإلهي يعد ما صدر عنه تقريرا وصالحا للحياة ،وإذا اجتهد وترك الأكمل فإن الله تعالى كان ينبهه فورا هكذا كان صلى الله عليه وسلم يعلم ويفتي ويأمر بتطبيق ما تعلمه الصحابة ،لأن العبرة بالفعل لا بالعلم المجرد دون العمل به ،على مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت تعتمد بالأساس في تعليمها على القرآن كما هو معلوم لم ينزل دفعة واحدة ،وفي ذلك حكمة إلهية ،وفي هذا الشأن يفهم من علماء النفس المحدثين أن التعلم الموزع على فترات متباعدة تتخللها فترات راحة يساعد على تثبيت العلم وترسيخه في الذاكرة ،وهذا ما طبقه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في تبليغ القرآن إذ أنه لم ينزل على فترات قصيرة ،بل كان ينزل على فترات طويلة من الزمن ليستطيع القوم استيعابه وفهمه ولو كان نزوله دفعة واحدة لوجدا في حفظه وفهمه صعوبة ،ولكن لحكمة شاءها الله تعالى أنه نزل مقسطا لمسايرة الأحداث والوقائع ومتمشيا في نفس الوقت مع التدرج في محاربة الأعراف و العادات التي لا حاجة للإسلام بها ،وكما أشرت سابقا من أن الرسول صلى الله عليه وسلم استعمل منهجا حكيما في تبليغ أحكام القرآن ،الذي به استطاع أن يثبت أحكام الشريعة في أذهان الصحابة رضوان الله عليهم ،و هذا المنهج جاء متضمنا العناوين التالية التدرج في التعليم ميادين التعليم ،حسن التربية والتعليم ،التنويع والتغيير،التطبيق العملي ،مراعاة المستويات المختلفة ،التيسير وعدم التشديد ،تعليم النساء.

التدرج في التعليم

في أول الأمر بدأ القرآن الكريم بمحاربة التقاليد والأعراف بمنهج التدرج ،لأنه لو حرمها على العرب مرة واحدة لوقعوا فيما لا يرضيهم ولجعلهم يعيشون في فسحة ضيقة ،لكن القرآن بحكمته السديدة صار يحارب ما كان شائعا وغير صالح وترك الأعراف التي لا تشغل البال كثيرا وذلك من أجل مسايرة العقول التي تطبعت بكل قبيح وفاسد ،وهكذا جاء القرآن الكريم ومعه أسلوب فريد من نوعه عالج به المجتمع العربي الذي كان يعيش حسب وحي الشهوات هذا الأسلوب الذي حولهم من التقاليد المريضة الجافة إلى معانقة أحكام جديدة صالحة مستمدة من تعاليم الإسلام ،هذه التعاليم التي رمت بهم إلى أحضان الأخلاق الكريمة والآداب الفاضلة وجعلتهم يعيشون سعداء كرماء متمسكين بما تضمنه الوحي السماوي ،مع العلم أن هناك تقاليد وأعرافا كانت لدى العرب مفيدة فزكاها الدين الجديد وذلك كالشجاعة والكرم وغيرهما ،وبقدر ما كانت الأعراف الضالة تغيب عن الساحة الإسلامية فإنها تعود بالعقيدة والسلوك الصحيح ،ومن الجدير بالذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعزيمته القوية استطاع أن يحقق أهداف رسالته بين قومه بالصبر والمواصلة حيث كان عليه السلام يعلم في الطريق ويفتي في منا مناسك الحج ويفصل بين الناس وهو في ساحة المسجد ويرشد وهو خارج عن منزله ومع صبره وإيمانه حقق ما كان يتمناه لأمته وذلك من منطلق التدرج الذي بتحقيقه أستطيع أن أقول إنه لولا ه ما كانت هذه السرعة في نشر رسالة السماء، فالقرآن الكريم كان يحفظ من أفواه الصحابة ولم يستقر في صدورهم إلا بهذا التدرج، ولم تتسع رسالة القرآن إلا بانتقاله من جزء إلى جزء إلا بالفهم والمناقشة والحوار وما دار الأرقم إلا دليل على ذلك.

ميادين التعليم

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم الصحابة ويرشدهم ليكون منهم القادة والأبطال ويربي فيهم الإرادة وروح الصمود أمام الزوابع والأحداث ،وقد كان هذا التوجيه السامي في أول أمره بدار الأرقم بن عبد مناف التي سماها الرسول الكريم بدار الإسلام ورغم قلة الصحابة الكرام فإنهم كانوا في إيمانهم زعماء في صبرهم وثباتهم ،هذا مع العلم أن الدعوة كانت سرية وذلك لقلة المسلمين بها ،وبهذه المدرسة كانوا يقرأون القرآن ويتعلمون تفسيره ويحفظون أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ،ولما أصبح منزل الرسول الكريم معهدا نبويا تكاثر المسلمون نسبيا وأخذوا يتدارسون القرآن ويرتلونه ليلا ويطبقونه في حياتهم معتمدين في ذلك على مرجعهم الأول ومفسرهم الأعظم ،لأنهم كانوا يعلمون أن العبرة بالفهم والتطبيق لا بالفهم والاستظهار ،وبعد المعهد النبوي الي تكون الصحابة فيه تكوينا إسلاميا صافيا تحولوا إلى المسجد الكريم الذي تشبعوا فيه بالأحكام والتعاليم والأخلاق والرسول في مسجده هذا ،كان إماما ومفتيا وقاضيا وقائدا ومشرعا ،وعند انفصال الصحابة عن الدروس والإرشادات كانوا يراجعون ما تعلموه من سلوكات وأخلاق وأحكام وحكم ،وهو ين الحين والآخر يستأنف معهم دروس تفسيره وتوجيهاته ،هذا ويعلم من تاريخ الصحابة أن الرسول صلى الله عليه وسلم ،كان لا ينفصل عن المسلمين نهائيا فكان معلما ومشرعا ومفتيا لصالح الدين والدنيا.

حسن التربية والتعليم

ان النبي الكريم كان مربيا مخلصا ومعلما متواضعا يعلم أصحابه برفق ويهذبهم بلين فهو كالأب لا يحب لهم إلا الخير باعتباره مطبقا لمكارم الأخلاق، كما كان يعامل المسلمين معاملة صادقة نابعة من قلب صاف طاهر، وعندما كان يريد أن يعلم أصابه كان يخاطبهم بتعبير يقطر أدبا وأخلاقا ،ويكلمهم بلسان يلهج بالمحبة والتقدير ،فيقول لهم مثلا (إنما أنا لكم مثل الوالد إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها) أصول الحديث ،وكان صلى الله عليه وسلم إذا تكلم دخل إلى حديثه بوضوح ليفهمه الناس ،فعن عائشة رضي الله عنها أن الرسول الكريم كان لا يسرد الكلام كسردكم ولكن إذا تكلم بين و وضح فيحفظه كل من يسمعه فتح الباري ج7ص 390 كما كان يبين للناس الأحكام جيدا حتى لا يبقى لسامع سؤال ، ولا لسائل مشكل.

التنويع والتغيير

جاء الرسول صلى الله عليه وسلم يبلغ عن ربه، والتبليغ بطبيعة الحال يحتاج إلى الصبر و المثابرة والعزم ،وحتى لا يشعر الصحابة بالملل كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقدم الدروس في الفضائل والأحكام حينا ويتركها لفترة قصيرة حينا آخر لأنه كان يعلم أن الاستمرار في التربية والتوجيه يدخل القنوط إلى النفوس ويدعو إلى الكسل والفتور ،وبذلك تقل الفائدة و تخبو جذوة الفهم ،ومن هنا كان صلى الله عليه وسلم يربي ويهذب فترة ويسمح لهم بالابتعاد عن النشاط التعليمي حينا آخر ،وعند الشعور بالانشراح والإقبال كانوا يعودون إلى دروسهم المتنوعة التي تقدم بمدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم ،وهذا الطريق الذي كان الرسول يسلكه مع الصحابة في التبليغ والتربية هو نفسه الذي تعتمده اليوم المؤسسات التربوية في مناهجها التعليمية .

التطبيق العملي

نزل القرآن الكريم للعمل به وتطبيقه، ولذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه القرآن الكريم ولا يتعدى آيات معدودات حتى يفهمها ويفسرها ويوضح لهم ما يحتاج إلى توضيح، ثم يأتي دور التطبيق لما فهموه وتعلموه من النبي الكريم، وفي هذا الشأن قال عبد الرحمان السلمي (حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن الكريم كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما، إنهم كانوا إذا تعلموا من الرسول صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، ثم يقولون تعلمنا القرآن و العمل جميعا) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص6 و روى الأعمش عن ابن وائل عن عبد الله بن مسعود وغيرهما قال (كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف مضامينها والعمل بها) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص 44 وقد بلغ اهتمام الصحابة بالتطبيق العملي إلى درجة أنهم كانوا لا يفارقون الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يفهموا دروسهم في التفسير والحديث ،والسبب في ذلك راجع إلى خوفهم من مسؤولية التطبيق عند اختلاطهم بالسائلين والباحثين ،وفي هذا الصدد خرج الإمام البخاري عن مالك بن الحويرث قال (أتينا النبي صلى الله عليه وسلم فمكثنا عنده عشرين ليلة حتى أحس الرسول الكريم بأننا قد مددنا المدة فسألنا عن أحوالنا فأخبرناه وكان رحيما بنا فأمرنا بالرجوع إلى بيوتنا وقال علما لأسركم ما تعلمتموه ومرو هم وصلوا كما رأيتموني أصلي ،وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ثم ليؤمكم أكبركم) صحيح البخاري بحاشية السندي ص 52 ،ومن هذه الأخبار نعلم أن الصحابة كانوا يطبقون أحكام الشريعة بمجرد ما يفهمونها ،ومن هنا تظهر أهمية العلم المطبق لأنه يفيد الإنسان والمجتمع ثم يصبح أشد ثبوتا ورسوخا في النفوس ومن هنا نعلم أن العلم المجرد في نظر الإسلام لا عبرة به لأنه لا يفيد في شيء ولكنه بالتطبيق يحقق أمور البشرية ويصلح أحوالها الاجتماعية

التيسير وعدم التشديد

إن الرسول صلى الله عليه وسلم قد سلك طريقا واضحا في تبليغ رسالته حيث كان يقدم لأصحابه ما هو واضح وسهل وخال من الشبهات كما كان صلى الله عليه وسلم ينهى عن التشديد والتعقيد في أمور العبادات لأنه كان يعلم أن ما يتحقق بالطرق الميسرة لا يتحقق بالسبل المعقدة ،فمنهجه عليه السلام كان واضحا في كل شيء وهذا مما دعا به إلى الصحابة أن يبتعد عن السبل الملتوية والسبل الشائكة في تبليغ التعاليم الإسلامية إلى الناس وفي هذا الشأن روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال دخل أعرابي المسجد فصلى ركعتين ثم قال (اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا فالتفت إليه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال (لقد تحجرت واسعا) ثم لم يلبث أن بال في المسجد فقال لهم الرسول عليه السلام (اتركوه إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين رشوا عليه دلوا من الماء أو سجلا من الماء) أخرجه الإمام أحمد بإسناد صحيح ،و روي عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (علموا ويسروا ولا تعسروا وإذا غضب أحدكم فليسكت) أنظر مسند الإمام أحمد ص292 إذن فأمره عليه السلام إلى التيسير كان رحمة بالعباد وسيبقى مصباحا ينير الطرق ويوضح المسالك ،مع العلم أن ديننا جاء ميسرا ولم يأت معسرا وذلك قصد تحقيق ما ترمي إليه شريعتنا الغراء من تعاليم وأخلاق وأحكام وعبادات وغيرها .

تعليم النســـــاء

بقدر ما كان يعتني النبي صلى الله عليه وسلم بالرجال في الجانب التعليمي كان يعتني كذلك بالنساء ،فقد جاءه نسوة وطلبن منه أن يعلمهن في مكان خاص بهن فجاءهن للبيت الذي عينه لهن وشرع يعلمهن أمور دينهن انظر مسند الإمام أحمد ص292 وما هي إلا أيام حتى شعر النساء المسلمات بأن التعاليم الدينية والأخلاق الكريمة والفضائل أخذت طريقها إلى القلوب والعقول ،وبهذه الدروس الخالدة كثر اقتراب النساء من النبي صلى الله عيله وسلم وأخذن يسألنه عن أمور دينهن والنبي صلى الله عليه وسلم يجيبهن ،وفي هذا الصدد قالت عائشة رضي الله عنها (نعم النساء نساء الأنصار لم ينعهن الحياء أن يتفقهن في

الدين) انظر فتح الباري ص 293 وبهذا المنهج الذي سلكه النساء من أجل التفقه في دينهن أخذ نور الحياة يمشي معهن والتوفيق بجانبهن وذلك من أجل الإسهام في ممارسة الحياة العملية انطلاقا من توجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم التي حولت المجتمع النسوي إلى العمل والبناء إلى جانب الرجال وهكذا أصبح الرجال والنساء يساهمون في بناء حياة جديدة مليئة بالصفاء ،ومع هذا الجو المشرق بالإيمان كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتابع رسالته التعليمية بروحه الطيبة ونفسه الزكية بمنهج تربوي مشرق فتخرج من المعهد النبوي الكريم عدد لا يقهر من النساء والرجال في مجال العلم والمعرفة والتفسير والأحاديث والأخلاق مع العلم أن الرسول الكريم لم يكن يحتجب عن أحد فهو مرشد في الطريق وإمام في الساحة مفتت في الجبل ومرب في السوق ومصلح تحت شجرة أو غيرها فالناس يسألون وهو يجيب لأنه معلم الناس ومهذب البشرية وفقيه النساء المؤمنات إنهن عشن تحت هذا الأب الرحيم هذا المؤدب الكريم محفوفات برعايته سعيدات بوجوده يتعلمن الفضائل والأحكام.

التحليل الإجمالي

لقد تشبع الصحابة بالأحاديث والتفسير وتنوير أفكارهم بكثرة مخالطتهم للنبي صلى الله عليه وسلم غير أنهم وجدوا أنفسهم ما زالوا محتاجين للمزيد من كنوز الفضائل والأخلاق وعلوم التفسير والأحاديث والتوجيهات ولكي تتحقق النوايا الطيبة كان فريق منهم يستفيد من الرسول الكريم ويبلغ ما تعلمه إلى الفريق الآخر ،قال عمر رضي الله عنه كان رجل من الأنصار يزودني بما سمع عند غيابي وأزوده بما سمعت إذا فارق الدروس النبوية انظر أصول الحديث ص 67 و فتح الباري ص195 كما كان الصحابة رضوان الله عليهم يتناقشون فيم سمعوه من الرسول الكريم حتى يتمكنوا من فهمه . الجامع لأخلاق الرواة ص46 وإلى جانب هذا كانوا بمجرد ما يسمعون الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية كانوا يراجعونها ويكررونها لتستقر في النفوس ومن ذلك ما رواه الخطيب البغدادي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جزأت الليل ثلاثة أجزاء ثلثا أصلي وثلثا أنام وثلثا أذكر فيه حديث رسول الله صلى عليه وسلم وكذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم يتعلمون من حوادث طارئة كانت تفاجئ النبي صلى الله عليه وسلم ويسردها أمامهم وتطير بينهم بسرعة من ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مر برجل يبيع طعاما فإذا هو مبلول بالماء فقال الرسول الكريم (ليس منا من غش) مسند الإمام أحمد ص18 وقد تعلموا كذلك بواسطة الخطأ فالصحابي لما يخطئ يوجهه الرسول صلى الله عليه وسلم حينا فتحصل

الاستفادة للجميع ،وإذا حصل الحياء لأحد منهمكان يبعث من ينوب عنه في مهمته ،وهذا ما وقع فعلا للإمام علي رضي الله عنه قال كنت رجلا مذاء فكنت أستحي أن أسأل النبي صلى الله عليه وسلم لمكانة ابنته فأمرت المقداد بن الأسود فسأله فقال يغسل ذكره ويتوضأ فتح الباري ج1 ص 294 و صحيح مسلم ص247 ج1 وكانت عائشة كذلك تراجع الرسول الكريم فيما سمعت منه حتى تتمكن من فهم آية أو سنة أو حكم فتح الباري ج1 ص207 ونفس الاتجاه كان الصحابة يفعلون بحيث كانوا لا يفارقون الرسول الكريم حتى يعرفوا ما هم في حاجة إلى فهمه ،وإذ ا حصل خلاف بين أصحابه أو غيرهم كان المرجع والحاكم والقاضي والمفتي ،وهذا ما وقع فعلا لعمر بن الخطاب وهشام بن حكيم في مسألة القراءة ،بقي الاثنان بدون اطمئنان حتى استمعا إلى حكم الرسول صلى الله عليه وسلم بأن كلا منهما على صواب ،فقال لهما إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرأوا ما تيسر منه مسند الإمام أحمد ج1 ص 274 وهكذا توسع الصحابة في أخذهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم بطرق كثيرة ،أخذوا عنه وهو في صيامه أوفي صلاته أو في سفره أو في حجه ومن خلال هذا المجهود العظيم يظهر إخلاص هؤلاء الصحابة في خدمة السنة الكريمة وهم رضوان الله عليهم رغم استفادتهم من الرسول الكريم جميعا كانوا متفاوتين من حيث التحصيل ،فكان منهم المكثرون كأبي هريرة رضي الله عنه وعائشة رضي الله عنها ،وكان منهم المقلون ،كما كان منهم المتوسطون ،ولكن نتائج اختلاطهم بالرسول صلى الله عليه وسلم رغم تفاوتها من حيث الكثرة والقلة ،فقد التحمت وتوحدت وجاءتنا مشرقة وضاءة تفيد الأمة في أحكامها والمجتمع في سيره المليء بالمشاكل التي لا تحل إلا بالكتاب والسنة ،إن هؤلاء الصحابة الذين استفادوا من الرسول الكريم كثيرا وتأثروا بتعاليمه وتوجيهاته نجدهم قد انضموا اليه صلى الله عليه وسلم حتى أصبحوا لا يستطيعون مفارقته ،وهذا ،دل على شيء فإنما يدل على مدى الروابط المتينة القائمة بين القائد الموجه عليه السلام وبين هؤلاء الصحابة ،وعند البحث عن أسباب هذه اللقاءات الكريمة نجد ها تعود إلى تأثير الرسول صلى الله عليه وسلم في حياتهم بسلوكه وأخلاقه فقابلوا هذا التأثير النبوي الكريم بالالتفاف حوله والعمل بما استفادوا منه وتطبيقه في شؤون حياتهم ،ومن هنا نعلم أن نور هدايته عليه السلام قد وصل إلى قلوبهم فقال تعالى في حقهم (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) سورة الفتح الآية 18 وقال ابن حزم رحمه الله (إن الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعا) المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل للدكتور فاروق حمادة ص197 ثم إن الصحابة رضوان الله عليهم أدركوا أن العلم الحقيقي هو ذلك العلم الذي يجعل من الرجل عالما مسؤولا على الناس يحب لهم ما يحب لنفسه ،هو ذلك الرجل المتواضع الذي يقف عند حده ويحترم نفسه ليحترمه غيره انظر الرسول والعلم للعلامة يوسف القرضاوي ص65 هذا مع العلم أن ا التواضع لا

ينال إلا بالأخلاق ،كما ينال بالاعتراف بالخطأ ومن هنا كان الصحابي رضي الله عنه إذا لم يعرف مسألة ولم يكن علم بها كان يبحث عن حلها ،وإذ سئل عن شيء وكان لا يعرفه قال لا أدري ،ومن قال لا أدري علمه الله ملا يدري حتى إن الرسول نفسه كان يقو ل لا أدري وفي هذا الشأن روي عن جابر بن مطعم أن رجلا قال يا رسول الله أي البلدان (يعني البقاع أحب إلى الله وأي البلدان ابغض إلى الله قال لا ادري حتى أسأل جبريل عليه السلام فأتاه فأخبره إن أحب البقاع إلى الله المساجد ،وأبغض البقاع إلى الله الأسواق رواه أحمد في مسنده .فهذا سيد الخلق كان يردد دائما لا أدري ولا عجب في هذا الأمر ما دام وسام التشريف يلازمه ولا يفارقه، فهو صلى الله عليه وسلم نور يهدي الله به من يشاء، فكأنه يقول (اللهم اهدني واهد بي واجعلني سببا لمن اهتدى)

خاتـــــمـــــة

قضى الناس حياتهم في حروب وتطاحن تلعب بهم الأهواء والأساطير مدة طويلة من الزمن ولما حل الرسول بهذا الكون المظلم تعيشه سلالات بشرية متعدية ظالمة على طوائف إنسانية أخرى حاقدة انقلب العالم الحائر إلى عالم آخر هادئ يملؤه النور وتغمره الهداية ،،ومع هذا الجو المشرق بالإيمان أخذ الناس يعتنقون الدين الجديد شيئا فشيئا إلى أن أصبح العالم يتبختر في حلل السعادة والأمن تحت راية الإسلام التي يقودها سيد البشرية محمد صلى الله عليه وسلم ،ومع هذا الاستقرار الشامل أخذ الرسول يبذل أكثر من جهده في تبليغ السنة إلى المحيطين به من صحابة ومسلمين وغيرهم إلى جانب التعاليم القرآنية والفضائل والأحكام ،وهكذا أصبح الرسول الكريم قائدا ومفتيا وعالما وفقيها ومرشدا ومعلما ، ومع هذا السلوك التربوي العظيم أقبل الخلق عليه إقبالا عظيما فهم دائما وباستمرار معه وعلى اتصال به فهم دائما ملتفين حوله وبجانبه فهم معه في الطريق وفي السوق والمسجد والأماكن العامة ،ومن هذه الجهود ظهرت مساعيه العظيمة على أمته الإسلامية الصامدة.

فهـــــــر س البحث

بقلم الباحث د عبد السلام الهبطي الإدريسي